



## تيار المناضلة، 31 مايو 2018: عبد الله موناو، 21 سنة بعد التصفية الجسدية

قبل 21 سنة، يوم 31 من شهر مايو 1997، وُجدت جثة المناضل عبد الله موناو طافية بالبحر بين ميناءي أكادير، ليكون ذلك آخر مشهد من عملية التصفية الجسدية لواحد من أعظم مناضلي الطبقة العاملة المغربية الثوريين العصاميين الواعدين. عاش موناو 38 سنة، قضى زهاء نصفها مناضلاً ماركسيا ثوريا، يسلك كل سبل بناء أدوات نضال الشغيلة، وكل ضحايا الاستبداد والرأسمالية، من أجل الاشتراكية، وغيبه العدو الطبقي باختطاف واعتقال سيظلان علامة صارخة بحقيقة نظامه المستبد. مرت 21 سنة مؤكدة:

### تيار المناضلة

- أ- ثبات الطابع المستبد للنظام السياسي المغربي الموروث عن مزيج من الجبروت السياسي للقرون الغابرة ونظام السيطرة الاستعمارية. استبداد ترسخ بفضل مناورة سياسية لتأمين استقرار انتقال الحكم، سماها مهندسها "تناوبا"، ونجح فيها بفعل تواطؤ من اغتصبوا صفة النضال وحتى الاشتراكية طيلة عقود دأبوا فيها على نجدة النظام ومساعدته على النجاة من اختناقاته. استبداد لا يقف، ولا يتراجع، سوى في الحدود التي تفرضها اندفاعات نضال الكادحين.
- ب- استمرار إخضاع المغرب لسيطرة استعمارية جديدة معززة، عبر قنوات علاقة التبعية للاتحاد الأوروبي، وأدوات العولمة الامبريالية، من صندوق نقد دولي وبنك عالمي ومنظمة تجارة عالمية. إخضاع حول البلد إلى ورش تخريب كبير مُربع لكل مكاسب كادحي البلد الاجتماعية وعلى صعيد الحريات.
- ت- استمرار الآلية السياسية، المسماة بدءا "مسلسلا ديمقراطيا، قوامها فبركة مؤسسات زائفة، محلية وبرلمان، وحكومات واجهة، والتحكم في كل ذلك بترويض الأحزاب السياسية والنقابات العمالية، وصنع "مجتمع مدني" خادم خنوع، بما يخدم ديوممة الاستبداد السياسي والسيطرة الاقتصادية لبرجوازية محلية ولربيبها الامبريالي. آلية سياسية كان وقودها بالأمس اشتراكيون زائفون خدعوا الجماهير عقودا، ويحركها اليوم إسلاميون اندفع قسم من الشعب بأصابعهم.
- ث- تنامي مقدرة العمال ومجمل مفقري المدن والقرى، على الكفاح؛ وتعاضم ثقنتهم في الذات، ضمن مد وجزر طبعها، لكن وفق خط صاعد جلي منذ منتصف تسعينات القرن الماضي. فقد ترعرعت حركة نضال اجتماعي واشتد عودها، وارتقت مطالبها وأشكال تنظيمها. فمنذ الصبوات الشعبية المنطلقة من أعماق المغرب القروية المهملة، تتبلور باطراد حركات شعبية محلية، متحررة من تسلط أحزاب متعاونة مع النظام، مباشرة أو مداورة، وتوافق إلى تحقيق المقومات الأولية لحياة لائقة، من شغل وخدمات عامة، وحرية وكرامة. ويتنوّأ الشباب، لاسيما المعطل، مكانة مرموقة في هذا الكمون النضالي الذي يهز البلد بين فينة وأخرى مرعبا للمستبدين، من رأسماليين مغاربة وأسيادهم الامبرياليين. ولا شك أن مقدرة النضال تلك شهدت حفزا قويا بفضل حراك 20 فبراير المجيد، وما مثل من امتداد محلي للموجة الثورية التي هزت المنطقة منذ متم العام 2010. وإن كان الردة الرجعية قد أجهزت إلى حد بعيد على مكاسب السيرورة الثورية العربية والمغربية، فإنها لم تأت كليا على استعداد كادحي المغرب لولوج ساحة معارك اجتماعية غير مسبوقة، تجلى ذلك في حراكي الريف وجرادة، وما شهدت مدن كبرى، مثل طنجة ومراكش من تعبئات اجتماعية قوية. واخيرا، وليس آخرا، النجاح العظيم للحملة الشعبية لمقاطعة منتجات شركات ضد الغلاء المستعرة.
- قد باتت مقدرة الشغيلة والعامة الكادحين تعبر عن نفسها بأشكال ذاتية تتلمس طريق الديمقراطية في تسيير النضالات بعيدا عن تسلط الأجهزة السياسية لأحزاب دلت التجربة أنها إنما تستعمل كفاحية الجماهير لبلوغ أهداف خاصة بها، أهداف تملحها طبيعتها البرجوازية وإن كانت "معارضة".
- ج- تلاشي المعارضة التاريخية، لتويجا لسيرورة من السعي العقيم إلى "دمقرطة" النظام، وهي الاسم الذي ظلت تُحجب به محاولات بلوغ مساومة مع الاستبداد تمنح أحزاب المعارضة البرجوازية (الوطنية الشعبوية)، مكانة أكبر في آلية النظام السياسية بما يخدم مصالح أقسام الطبقات المالكة المتضررة من استحواذ الحاكمين على السلطة وفرص التراكم الرأسمالي.
- ح- حرر هذا التلاشي قسما من الكادحين من هيمنة سياسة طالما عرقلت ارتقاء وعيهم بمصالحهم الطبقيّة الخاصة. وهذا ما يفتح إمكانات بناء أداة سياسية بديلة تجعل شغيلة البلد وكادحين يمسكون زمام مصيرهم. إمكانات يظل استثمارها وفقا على نهوض الثوريين بدورهم نهوضا كاملا حازما. تفاقم أزمة الحركة النقابية العمالية والطلابية، بمستويات متباينة. فبعد ما عانت حركة الشغيلة النقابية منذ الاستقلال الشكلي من جنوح بيروقراطيتها إلى التعاون مع النظام لمنع تسييس العمال على نحو مستقل، لا بل حتى إلى التضحية بمصالح الأجراء اليومية المباشرة، ثم تعرض قسم منها لاستعمال سياسي من قبل المعارضة البرجوازية منذ متم السبعينات؛ أدت عقود من هاتين الأفتنين إلى إجهاض اندفاعات عمالية قوية، وإلى شل الجسم النقابي عن النهوض بأدواره النضالية الأولية. وبلغت حدة هذه الأزمة اليوم مستويات غير مسبوقة، بضغط استئراء البطالة والهشاشة من جهة، وأضرار خط البيروقراطيات المتعاون مع البرجوازية ودولتها من جهة ثانية. وساعد على هذا النكوص نقص إدراك تاريخي لدى اليسار المنتسب للطبقة العاملة للحاجة الحيوية إلى معارضة منظمة داخل النقابات تنوّد عن المصالح الآنية والتاريخية للبروليتاريا بمنظور كفاحي ديمقراطي. ولا شك أن ما سمي "توجهها ديمقراطيا" بالاتحاد المغربي للشغل، من 2012، مثال ساطع عن ذلك العمى السياسي.
- أما الحركة النقابية الطلابية، التي اضطلعت بأدوار حفازة في تاريخ البلد السياسي، فقد تعاضم استفحال أزمتها منذ 36 سنة لدرجة استحالة الحديث عن وجود أدنى مقومات عمل مطلبية وسياسية منظم. لم تكن تلك الأزمة، في أحد ابعادها الرئيسية، غير انعكاس لما شهد اليسار "الماركسي اللينيني" من تدهور وانحلال. بيد أن تنامي إمكانات الطلاب النضالية، بوجه الهجوم البرجوازي على الجامعة العمومية، عبر عن نفسه رغم اضمحلال الأداة النقابية، لا بل بقاء مخلفات منها عقبة كءاء لا أدل على خطورتها من تنامي العنف السياسي، بموكب قتلاه ومعطوبيه، داخل الجامعة.
- وإن الجسم الطلابي اليوم، بحجمه ومشاكله المتعاضمة، وما يحيط به من ديناميات نضالية شعبية مخترقة للمجتمع، وما تتيح التكنولوجيا من إعلام وتواصل وتنسيق، مؤهل لاستعادة دوره النضالي على نحو أشد وأقوى.
- بوجه الإجمال، تحسنت، في العقدين التاليين لاغتيال عبد الله موناو، شروط النضال العمالي والشعبي باجتياز قوى فنية، تُعد بمئات الآلاف، تجارب نضال ميدانية، وتراجع الخوف في أسفل، وبداية انتقاله إلى أعلى. ما يلقي مسؤولية أجسم على مناضلي اليوم، رفاق عبد الله موناو، وكل من يشاطر أهداف الحرية والاشتراكية.
- لقد جسد عبد الله موناو بما أوتي قيم الوفاء لقضية تحرر العمال الذاتي، ومعهم عامة ضحايا صنوف الاضطهاد، ووهب حياته من أجلها. تطويرا لمكاسب الحياة النضالية للرفيق عبد الله، ولما دأب عليه رفاقه/ته من اقتداء به، ومن استرشاد بدروس الكفاح التاريخية لطبقنا ولكل معذبي الأرض، نواصل النضال من أجل:
- بناء منظمات نضال طبقية جماهيرية، كفاحية، وديمقراطية في تسيير النضالات وفي البناء التنظيمي
- الدفاع عن راية الاشتراكية، وقيمتها التحررية في وجه المسخ الرأسمالي النيولبرالي وكل صنوف الهذيان الرجعي الديني والعرقى ... وضد تدمير المحيط البيئي
- النضال لأجل بناء حزب العمال الاشتراكي، الأداة الضرورية في معركة الطبقة العاملة لتحررها الشامل والعميق، بما هو مهمة آنية.
- ذكري الشهداء من اجل الاشتراكية ليست طقسا جنائزيا، بل استلهام الأجيال الحالية الدروس لحمل المشعل ومطابقة القول بالفعل.

استشهد موناو، عاش النضال الثوري لأجل الاشتراكية